المرأة في شعر عبد الرحمن شكري

– دراسة موضوعية –

د. محمود فليح القضاه

مركز اللغات، جامعة آل البيت – الأردن

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة صورة المرأة في شعر عبد الرحمن شكري. والشاعر عبد الرحمن شكري من الرواد في تاريخ الأدب العربي الحديث، فهو ثالث ثلاثة من أعمدة مدرسة الديوان التي وضعت مفهوما جديدا للشعر في أوائل القرن الماضي. ويعد شكري واحدا من الشعراء الذين رفضوا شعر المناسبات، ودعوا إلى الخيال والعاطفة المرهفة في الشعر. كما نادى إلى أن يكون الشعر ترجمان النفس والوجدا. وهو من الشعراء الذين تغنوا بالمرأة، فغنى للمرأة، وكان لها نصيب وافر في شعره، وظهرت بأكثر من نموذج. كما غنى شكري للحياة والإنسان والحب والألم، وقد كانت هذه الموضوعات من أهم البواعث عنده في نظم الشعر. وفي هذه الموضوعات برزت النزعة الوجدانية بشكل واضح.

الكلمات المفاتيح: مرأة، شكري، شعراء، معشوقة.

La femme dans la poésie d'Abdou-Rahman Choukri : Etude objective

Resumé

Cette recherche a pour objectif d'étudier l'image de la femme dans la poésie d'Abdou-Rahman Choukri qui est un pilier dans l'histoire de la littérature arabe moderne. Il est parmi les trois piliers de l'Ecole Aldyouan qui a introduit une nouvelle conception de la poésie au début du dernier siècle. Abdou-Rahman Choukri se compte parmi les poètes qui ont refusé la poésie des occasions et qui ont fait appel à la poésie imaginaire et sentimentale qui interprète l'âme et les émotions. Choukri est l'un des poètes qui ont écrit sur la femme. Celle-ci est bien présente dans sa poésie sous plusieurs formes. Choukri a écrit aussi sur la vie, l'amour, la peine et l'être humain. Ces sujets étaient des déclencheurs pour écrire ses poèmes où les émotions sont toujours présentes.

Mots clés : Femme, choukri, poète, femme aimée.

Women in Abdulrahman Shukri Poetry: an Objective Analysis

Abstract

This study aims to consider the image of women in the poetry of Abdurahman Shukri who was one of the pioneers in the history of modern Arab literature. He was one of the three pillars of Al-Diwan School, which introduced a new concept of poetry in the first century .Shukri was regarded as one of the poets who refused the poetry of occasions, and he called for imagination and heightened passion in poetry. He also said that poetry should be the interpretation of self and feeling. Moreover, he was one of the poets who wrote about woman; the woman appears in different patterns in his poetry .Shukri also wrote about life, human beings, love and pain, these topics were the major inspirations for him when writing poetry, and these topics led clearly to the emergence of passion.

Keywords: Woman, shukri, poet, beloved woman.

1- مدخل:

لا يخلو الحديث عن المرأة من ذكر علاقتها بالرجل، والشواهد كثيرة في صفحات التاريخ تظهر هذه العلاقة وهذا الارتباط، فالرجل متعلق بالمرأة منذ القدم، قدم آدم وحواء، فهو لا يقدر على هجرها، كما أنه لا يستطيع الاستغناء عنها، وقد تعددت صور المرأة فهناك المرأة الأم، والأخت، والزوجة، والحبيبة... ، وقد قال معاوية بن أبي سفيان " ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلهن "[1]، فالرجل يجد عند المرأة ما لا يجده عند الرجل، يجد عندها الحب والحنان في مواقف الشدة والرخاء، تغنى الشعراء بالمرأة قديما وحديثا، وكان لها حضورها الكبير في دواوين شعرهم، كما زينوا بها قصائدهم، وكثيرا ما ظهرت قضايا المرأة في تلك القصائد. وقد شغل الشعر الذي نظم في المرأة حيزا عظيما في الأدب العربي وخلّف ثروة أدبية كبيرة، ويمكن القول إنه لا يوجد شاعر إلا وكان لشعره نصيب في المرأة، ولا عجب في ذلك فهي ملهمة خيال الشعراء وعماد قصيد الحب منذ امرئ القيس، وقيس بن الملوح، وعمر بن أبي ربيعة، وكثير عزة، وأبي نواس، وحافظ إبراهيم، ونزار قباني، وغيرهم.

تذكرت من يبكي علي فلم أجد

ولكن من الذي يتحسر عليه من الذين لم يشهدوا وفاته ؟ فكانت الإجابة مجموعة من النسوة ومنهن :

أقلب طرفي فوق رحلي فلا أرى
وبالرمل منا نسوة لو شهدنني
وما كان عهد الرمل عندي وأهله
فمنهن أمي وابنتاي وخالتي

وقد آثرت في هذا البحث اعتماد المنهج التكاملي الذي يمكن الباحث من تناول العمل الأدبي من جميع زواياه ويتناول صاحبه كذلك، فكان اعتمادي غالبا في المدخل على الجانب الوصفي، أما الفصول فقد اعتمدت فيها على أكثر من منهج، إذ جاء المنهج الوصفي التحليلي أثناء دراسة المرأة في شعر عبد الرحمن شكري ومحاولة تفسير اهتمامه بها داخل النماذج الشعرية، كما جاء استخدام المنهج الاجتماعي في محاولة لدراسة شعر شكري في المرأة ضمن المجتمع وربطها بقضاياه، وكان للمنهج التاريخي حضوره في الدراسة في أثناء البحث عن النصوص المستحضرة، أما المنهج الجمالي الفني فقد اتصل بالبحث عن الأثر الفني لشعر شكري في المرأة، فقد ظهر أثناء الحديث عن المكونات الفنية للنماذج الشعرية، وقد حضر المنهج النفسي لاتصاله بعناصر أساسية في التجربة الشعرية، فهو يتصل بالعاطفة المحركة للعملية الإبداعية، كما أنه قادر على الكشف عن غوامض وخبايا العمل وصاحبه .

وكثير من الرجال استعانوا بقوة المرأة وصلابتها، فهي الرفيقة في الحياة والشريكة في الكفاح. وفي مرثية الشاعر مالك بن الريب لنفسه مثال كبير على تعلق الرجل بالمرأة وتحسره عليها، وهو حين يندب نفسه فإنه لا ينسى أصحاب الوفاء، سيفه وفرسه وهما اللذان شهدا وفاته[2]:

سوى السيف والرمح الرديني باكيا

أمه، وابنتاه، وخالته، وباكية أخرى قد تكون زوجته أو واحدة من النساء اللاتي عرفهن[3]:

به من عيون المؤنسات مراعيا
بكين وفدين الطبيب المداويا
ذميما ولا ودعت بالرمل قاليا
وباكية أخرى تهيج البواكيا

ومن يتابع صورة المرأة في الأدب العربي عموما والشعر خصوصا يجد تعدد صور المرأة، كما يجد أن المرأة–الحبيبة هي أكثر من تغنى بها الشعراء، وأن صورتها قد طغت على باقي الصور الأخرى، وكثيرا ما كانت حاضرة في مقدمة القصيدة، وكان شعر الغزل المكان الأرحب لهذه الصورة، حيث شغل مكانا واسعا من الإرث الشعري الذي خلفه لنا العصر الجاهلي حتى يكاد أن يكون الجزء الأكبر من ثروتنا الأدبية في ذلك العصر[4]، " والغزل أسبق الفنون الشعرية إلى نفس الشاعر وأشدها حرارة وأقومها نتاجا إذ إنه يتصل بالمرأة وهي كانت ولا تزال ملجأ الرجل وملاذه "[5]، وقد اختلف تصوير المرأة عبر العصور من شاعر لآخر، ما بين الإيجابية والسلبية وما بين الحسية والمعنوية، فمن الشعراء من أسرف في الوصف الحسي لجمالها وتفنن في وصف جسدها كما في قول قيس بن الملوح [6]:

وَمَفروشَةِ الخَدَّينِ وَرداً مُضَرَّجاً ... إِذا جَمَشَتهُ العَينُ عادَ بَنَفسَجا
شَكَوتُ إِلَيها طولَ لَيلي بِعَبــرَةٍ ... فَأَبدَت لَنــا بِالغُنجِ دُرّاً مُفَلَّجا
فَقُلتُ لَهــا مُنّي عَــلَيَّ بِقُبلَــةٍ ... أُداوي بِها قَلبي فَقــالَت تَغَنَّجا
بُليتُ بِرِدفٍ لَستُ أَستَطيعُ حَملَهُ ... يُجاذِبُ أَعضائي إِذا ما تَرَجرَجا

وهناك من الشعراء من تناول صورة المرأة بكل معاني الانحلال وأنها جاءت للمتعة الجسدية فقط، فجاء شعرهم خادشا للحياء كما في قول ابن الرومي[7]:

أعــانقها والنفــسُ بعــدُ مشــوقــةٌ ... إليهــا وهل بعد العنــاق تدانــي
فألثمُ فــاهــا كــي تمــوتَ حزازتــي ... فيشتد مــا ألقــى مــن الهيمان
وما كان مقدار الذي بي من الجــوى ... ليَشْفِيَــهُ مــا ترشُفُ الشَّفَتَــانِ
كأنَّ فــؤادي ليــس يَشْفــي غليلَــه ... سوى أنْ يرى الروحَيْن يمتزجــان

واختلفت الصورة عند شعراء آخرين حيث أحاطوا المرأة بهالة من الطهر والرقة والعفاف كما في قول أبي القاسم الشابي[8]:

عذبــة أنت كالطفــولة كالأحــــلام ... كاللحن كالصباح الجــديــد
كالسَّماء الضَّحُوك كاللَّيلَةِ القمراءِ ... كــالوردِ كابتســامِ الولــيــدِ
يا لهــا مِنْ وَداعــــةٍ وجمــــالٍ ... وشَبــابٍ مُــنعَّــمٍ أُمْلُــودِ
يا لها من طهــارةٍ تبعثُ التَّقــدي ... سَ في مهجَةِ الشَّقــيِّ العنيدِ

ويمكن القول إنه في العلاقة بالمرأة يوجد هذا وذاك، وكل من الشاعرين أحسن السبك وفق السياق الذي أثارنا، ومن الصور التي برزت فيها المرأة في الشعر العربي على مر العصور صورة الأم، فقد أشار الشعراء إلى الأم في قصائدهم وتناولوا صفاتها وأشادوا بدورها، فقد ذكرها عروة بن الورد، وحسان ابن ثابت، والفرزدق، والمتنبي، وأبو العلاء المعري، وأحمد شوقي، وغيرهم، وإن كان حضورها في الشعر أقل بكثير من حجم دورها الحقيقي[9]، ولا يُنسى قولُ الشاعر حافظ إبراهيم حين أشاد بمنزلة الأم ومكانتها في المجتمع حين قال[10]:

الأُمُّ مَدرَسَــةٌ إذا أَعدَدتَهــا ... أَعدَدتَ شَعباً طَيِّبَ الأَعراقِ
الأُمُّ رَوضٌ إن تَعَهَّدَهُ الحَيـا ... بِالـرِيِّ أَورَقَ أَيَّمــا إيــراقِ
الأُمُّ أُستاذُ الأَســاتِذَةِ الأُلــى ... شَغَلَت مَآثِرُهُم مَدى الآفاقِ

وتظهر في الشعر العربي، أيضا، صورة المرأة الزوجة، حيث تناول الشعراء هذه الصورة وتفننوا في طرحها، فتغزلوا بها وذكروا مشاعر حبهم لها في جانب، كما بكوها بكاء حارا عند فراقها في جانب آخر، فهذا خالد بن يزيد بن معاوية وقد شبب بزوجته رملة بنت الزبير[11]:

أحنُّ إلى بنت الزبير وقد عَلَتْ ... بنا العيسُ خرقاً من تهامةَ أو نَقْبا
إذا نزلتْ أرضـاً تحبَبَ أهلُهـا ... إلينـــا وإن كانت منازلُهـــا حَرْبا
وإن نزلتْ ماءً وإن كان قَبلَها ... مليحـــاً وجدنا ماءه بارداً عَذْبـــا

وهناك من الشعراء الذين رثوا زوجاتهم باللوعة والحزن كما هو الحال مثلا عند الشريف الرضي[12]:

ذَكـرَتُك ذَكــرَةَ لا ذاهــلٍ ... وَلا نازِعٍ قَلبــُهُ وَالجـنَــانُ
أُعاوِدُ منك عِدادَ السَلــيمِ ... فَيا دينَ قَلبِيَ مــاذا يُدانُ
عَواطِفُ مِن مُقلِقاتِ الغَرا ... مِ يَومَ دُموعي بِها أَروِنانُ

وفي نموذج مختلف لصورة المرأة – الزوجة جاء تصوير الشاعر (أبو شبكة) للمرأة الخائنة لزوجها حين يصور الحالة الوضيعة لامرأة خانت زوجها واستجابت لغرائزها يقول أبو شبكة عنها[13]

أقول لها أعراقُ زوجكِ لم تــزل ... وفي قلبــه عطف الأُبــوةِ لم يَبْـــر
ولم يبر إحساس الرجال بصدره ... فحبك يجري منه في الجهة اليسرى
أقولُ لها ثوب العفاف تذكـــري ... ففي ســاعةِ الإكليل لــم يكُ مُغبَرَاً

ولا يقف الحديث عن المرأة إلى هذا الحد، بل يتشعب الحديث لتحتل المرأة مساحات واسعة من أدبنا العربي خاصة الشعري منه في سياقنا هذا، فتبقى المرأة حاضرة على مر التاريخ في وجدان الشعراء العرب، وتظهر صور أخرى للمرأة كالأخت، والبنت، والجدة، والجارية، والراقصة، وغيرهن .

2- عبد الرحمن شكري :

ولد عبد الرحمن شكري في مدينة بور سعيد في الثاني عشر من أكتوبر سنة 1886، وهو ينتمي من جهة والده ووالدته معا إلى أصل مغربي من شمال أفريقيا، فوالده هو محمد شكري بن أحمد شكري بن حسن عياد المغربي، ووالدته هي زينب بنت مغربي بن سعد بن سعد المغربي[14]. وقد أجاد عبد الرحمن شكري في كتابه الاعترافات في تصوير أيام طفولته ومراتع صباه حين نشأ ضعيف البنية تخالطه صفات الحياء، وهو لا يرجع حياءه إلى هيبته من الناس، أو احترامه لهم بقدر ما يجد في نفسه ذكاء وعلما يفضله عن الغير، لكنه لا يمنعه من الخجل منهم، وكان هذا طبعه حتى الكبر[15]. كما كان لا يأنس الناس ويميل إلى الوحدة، يقول في كتابه الاعترافات: " صرت لا آنس بالناس، وأحس قلقا شديدا عند رؤيتهم، فلا أحضر مجالس الناس ولا أتخذ صاحبا جديدا إلا في القليل، وصرت أحب الوحدة فأتجول في الأماكن الخالية"[16].

وقد حصل شكري على الابتدائية عام 1900، وبعد انتهاء المرحلة الابتدائية انتقل شكري إلى الإسكندرية حيث حصل على شهادة الدراسة الثانوية عام 1904، ثم درس الحقوق لمدة لم تطل حيث لم يلبث أن فصل منها [17]. ومع أوضاع مصر الاجتماعية التي كانت في أسوأ حال كما يقول الدكتور شوقي ضيف، حيث وصف تلك الحقبة بأنها من أسوأ الحقب في حياة مصر، حتى أنها لم تترك للشباب الطامح غير الشعور بالألم العميق بالحياة التي يحياها وطنه [18]، إلا أن شكري اتجه إلى دراسة الأدب حيث التحق بمدرسة المعلمين وتخرج فيها سنة 1908، وفي نفس السنة أرسل إلى جامعة شفيلد في انجلترا حيث قضى ثلاث سنوات درس خلالها تاريخ الأدب الإنجليزي، والاقتصاد، والاجتماع، والفلسفة، والسياسة، وفي سنة 1912حصل على درجة البكالوريوس من تلك الجامعة[19].

ولعل أهم المؤثرات الشعرية والنقدية التي استفاد منها شكري إضافة إلى زميليه العقاد والمازني في مدرسة الديوان كانت من الأدب الإنجليزي، ومنهلهم الأصيل هو مجموعة المختارات الشهيرة عند الإنجليز المعروفة باسم (الكنز الذهبي)[20]، كما يرى عباس محمود العقاد أن مدرسة الديوان بالرغم من إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والطليان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين، وهي مدرسة ليست مقلدة للأدب الإنجليزي، ولكنها مستفيدة منه مهتدية على ضيائه [21] .كما كانت الثقافة العربية رافدا من الروافد التي استقى منها شكري ثقافته حين استفاد من كتاب الأغاني، وديوان الحماسة، وديوان الشريف الرضي وقراءته للبارودي والبهاء زهير وغيرهم من الأدباء العرب[22]. أما نتاج شكري الأدبي فكان كبيرا ، فقد أنتج ثمانية دواوين نشرت كلها بالإسكندرية ما عدا الديوان الأول الذي نشر بالقاهرة سنة 1909، وهي على التوالي :

أضواء الفجر 1909م، ولآليء الأفكار 1913م، وأناشيد الصبا 1915م، وزهر الربيع 1916م، والخطرات 1916م، والأفنان 1918م، وأزهار الخريف 1919م، والديوان الثامن نشر بدون عنوان ويحتوي على مجموعة قصائده التي نشرت في

الصحف والمجلات بعد سنة 1919، ولا سيما في الفترة بين 1935-1939 وقد نشر مع الدواوين السبع الأخرى في مجلد واحد تحت عنوان ديوان عبد الرحمن شكري. ومن أهم أعماله النثرية: كتاب الاعترافات، والثمرات، وحديث إبليس، والصحائف، وقصة الحلاق المجنون، وله أيضا مجموعة من المقالات والدراسات في مجال الحياة والنفس والتأملات في الكون[23].

- المرأة في شعر عبد الرحمن شكري :

لم يغفل الدرس الأدبي الحديث العناية بآثار عبد الرحمن شكري، ولا الاهتمام باسمه، حيث كثرت الدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت الشاعر وشعره، منها : عبد الرحمن شكري للدكتور أحمد غراب، وأعلام الأدب المعاصر للدكتور حمدي السّكوت، وعبد الرحمن شكري شاعر الوجدان ليسري سلامة، وعبد الرحمن شكري ونظرات في شعره لأنس داود، كما تناول الدكتور شوقي ضيف عبد الرحمن شكري وشعره في كتاب دراسات في الشعر العربي المعاصر. ويمكن القول إن الدارس لشعر عبد الرحمن شكري يمكنه الإفادة من هذه الدراسات إفادة عظيمة، في دراسة جانب آخر مهم من شعره وهو موضوع المرأة، ومن يقرأ شعر الشاعر شكري يتملكه الإعجاب بهذا الشعر لما في هذا الشعر من اتجاه وجداني أيضا، ومن نظرات في النفس الإنسانية آمالها وآلامها، فشكري من الشعراء الذين ينفذون إلى أعماق النفس الإنسانية، فيناجي عواطفها، كما يستطيع الولوج إلى خوالج تلك النفس وما يعتورها، يقول العقاد في مقدمته لديوان شكري الثاني (لآلىء الأفكار) عام 1913: " وإن خير الشعر المطبوع ما ناجى العواطف على اختلافها وبث الحياة في أجزاء النفس بأجمعها كشعر هذا الديوان "[24]. وقد حفل شعر شكري بالمرأة، ولكن الدراسات الأدبية والنقدية لم تحفل بدراسة قضايا المرأة في شعر شكري دراسة دقيقة وافية، فالقراءة الدقيقة المتأنية لدواوين الشاعر تظهر الحاجة إلى دراسة هذا الموضوع، ومن هنا ظهرت الحاجة جلية إلى دراسة هذا الموضوع دراسة علمية موضوعية . ولا شك في أن المرأة قد شغلت بال الشاعر كحال غيره من الشعراء، ويمكن القول إن الشاعر شكري ليس بدعا من الشعراء بل هو واحد منهم، رأى في المرأة ما رآه الآخرون: معشوقة، وأمّا، وأختا، وزوجة، غير أن من يتتبع خطابه الشعري وعلاقته بالمرأة سيجد أن هذا الخطاب له لونه الخاص الذي تميز به عن غيره من الشعراء في التعامل مع المرأة.

وبالتالي فإنه يمكن تحديد علاقة الشاعر شكري بالمرأة في ثلاثة محاور هي:

أ- المرأة المعشوقة. **ب**- المرأة الأم.

جـ- المرأة الزوجة .

أ- المرأة المعشوقة

كان للمرأة المعشوقة حضور واضح في شعر الشاعر شكري، فقد كانت النموذج الأكثر وضوحا وانتشارا في شعره، مع أنه أشار في وقت من الأوقات بأنه ليس للمرأة أو غيرها أثر كبير في شعره، كما لم يكن للمرأة أو غيرها أثر كبير في شعر ابن الفارض[25]، وقد يقود هذا الأمر إلى القول إن غزل شكري ليس صادرا عن تجربة حب حقيقية ناجحة، وإنما هو صادر عن تجربة وجدانية خيالية[26]، كما أنه رأى أن في حب الشاعر والفنانين وسيلة وليس غاية: " وسيلة يريدون أن يوقظوا بها قواهم وملكاتهم الكامنة، ويشعلوا بها التخيل، ويهيجوا بها العواطف، ويجعلوا حبيبهم تمثالا لما ينشدونه في فنونهم من الجمال "[27] . وحين نتحدث عن المرأة المعشوقة في شعر شكري فإننا نتحدث عن غزل شكري، ونتحدث عن غزل

عذري لا يحفل بجمال المرأة الجسدي بل يتغنى بجمال الروح ويصور مكابدة العشق، وهو يقول في مقدمة الديوان الرابع: " لا أعني بالغزل غزل الشهوان، بل الغزل الروحاني الذي يترفع عن أوصاف الجسم إلا ما بدا للروح أثر فيه "[28]. وفي شعره الغزلي أمثلة كثيرة على تغنيه بجمال الروح وتحريم المتعة الجسدية، فيقول :

لست الخليق بأن تنـال محـبتـــي ... إن لم تنل مـــن عفـــة ورشـــــاد
النفس أعظم أن تحب ذوي الخنـــا ... أو أن تجـــل مظـــنـــة لـــفســـاد
إنـــي أريـــدك كعبـــة لا حـــانـــة ... إنّ الدنـــايـــا جـــمـــــة الـــرواد
طهر الحبيب يزيل هـــمّ محبـــــه ... فكأنـــه القمـــــر المنـــير الهـــادي

وفي قصيدة (مناجاة الحبيب) ينسج خياله الحزين صورة يعبر فيها عن حبه فيقول [29]:

وإذا وضعتك في الجفون صيانة ... أذرت عليك لدى البكاء حبيبا
وإذا رغبت لك الضلوع فإنني ... أخشى عليك لهيبها المشبوبا
وإذا وضعتك في الفؤاد فإنني ... أخشى عليك من الفؤاد وجيبا
يا ليت حظي منك أني نفحة ... تسعى إليك مع النسيم هبوبا

وفي هذه الأبيات تظهر المشاعر الرقيقة والعاطفة الصادقة المشوبة بالحزن التي تصل إلى حد تعذيب النفس في سبيل المحبوب، ومن ثم فإنه يحتذي حذو الشعراء العذريين في مخاطبته المحبوبة حين تنزل في نفسه موضعا لا ينزله غيرها، فيكابد الآلام والمعاناة في الهوى حتى ليقترب حبه أحيانا من مذهب السادية، إذ هو يتلذذ في سبيله العناء، ويستأنس العذاب [30]:

أضـــل كالأعمـــى إذا غبتـــم ... فالعـــين لا تبصـــر حتـــى تـــراك
يا نور عينـــي غال عيني العمى ... أغدق عليـــا رحمة مـــن سنـــاك
والعقـــل لا يعقـــل إن غبتـــم ... والـــنفـــس لا تـــأمـــل إلا رضـــاك
أبيـــت لا أذكـــر إلا اسمكـــــم ... فليس لـــي فـــي العيش شغل ســواك

ثم يستعذب اليأس والسهاد وقسوة الحبيب فيقول [31]:

أبيت الليـــل سهرانـــا ... علـــى هـم ووســواس
وأقضي اليوم فـــي هـــم ... أريـــق الهـــم فـي الكاس
وقـد حببت لـــي المـــوت ... فهل يهنيكـــم ياســـــي
سينعـاني لك المـــوت ... وأحســـوه مـــع الحـاسي

ويقول أيضا [32]:

مـــا لعيني خانها الدمع ولا عـــذر للعيـــــن إذا لم تسجـــم
نفد الدمع على طول البكـى فاستعار الحـــب لحمي ودمـــــي
أنـــا والآلام تستهـــدفنـــــي نادم لـــو كـــان يغنـي دمـــي
قد كـــرهت النـــــوم حتى إنني لو أتـاني طيفكم لـــــــم أنـــم

والحبيب هو مصدر الوحي الشعري والسمو الخلقي [33]:

قد سقاني هواك كأس الخلود وحـــــدا بـــــي للعزة القعســـاء
وسما بي فوق السموات حتى صرت مثل السماء فوق السماء

ومن ثم فإن شكري يهوى كل من له صلة بمحبوبه فيقول[34]:

أهوى النسيم الذي من نحو بيتكم يا طيبه حين يأتينا برياكا
أحببت من حبكم من كان يعرفكم كأنما قربه من طيب رؤياكا

ولا يخلو غزل شكري ومناجاته للمحبوب من عتاب ومحبة[35]:

أيمنعني الأعتاب أنك جـــارم فتنسب لي الهجران وهو توهـم
وإني ضنين أن تمسك وحشة إذا ما دنا من مسمعيك المـــلوم
فما أنا بالراجي عن الحب نبوة ولا أنا بالمسطيع صبرا فأكـــتم

ومن أجل الحب يطلب شكري رحمة الحبيب فيتمنى أن يكون قريبا منه فيقدم في سبيل ذلك الحب التنازلات التي قد تصل إلى مرحلة الذل ، فالحب عنده ذلة ومسكنة [36]:

ويا ليت إني مقعد فـــي ديـــاركم مقيم على صرف الزمـــان ركين
ويا ليت أن القرب ينصف والنوى فيحمد عزفـــي هواك وهـــون

ويقول [37]:

أرنـــو إليك فتحتوينـــي هيبـــة فأرد طرفي خاشعـــا مغلوبـــا
ما حيلة الطرف الذليل إذا كبـــتا إن كان شخصك في الفؤاد مهيبا

وإذا ما تابعنا شعر الغزل لدى شكري فإننا نجده يبحث عن العذاب في الحب والمعاناة الروحية، وعلاقته بالمرأة لم تصل إلى حد العشق المتبادل أو ما يمكن تسميته بالحب من طرف واحد ، فغالبا هو من يطلب المحبوب والمحبوب هو من يرفضه ليعيش على الأمل ، فيقول [38] :

رجعت بالخسر والآمال تخدعني حتى ظننت بأنــي غــير مغبون
من لي به وعيون الليل تنظرنــا بعد التصافي فأدنيه ويدنينـــــي
يكفي من الدهر أن الدهر يمطلني فإن وعد الليالي غير مضمــون

وقد أشار الدكتور شوقي ضيف إلى تأثر شكري بالشعراء الرومانسيين وغلبة الحزن على شعره، حيث يقول: " إن أكثر النغم في الديوان نغم الحب، وهو حب محروم يائس وشجي، ووراء هذا الحب تصور واسع لنفسه البشرية، وأحاسيسها إزاء الكون وهي أنغام استمدها مما قرأه في الشعر الإنجليــزي، وقد طبعت عنده كما طبعت عند أصحاب المذهب الرومانسي بالحزن والتشاؤم في تتبع أنات الشاعر ويأسه القاتل "[39]، كما اقترن شعر شكري بالعديد من مظاهر الطبيعة شأنه في ذلك شأن الشعراء الرومانسيين، فيذكر النجوم ،والليل، والهلال، والبدر، والورود، والبحار:

يحدثني عنك الهلال إذا بدا وتخبرني عنك النجوم الزواهر
وإني أحب البدر من أجل حبكم وتسعدني حتى أراك الأزهار

وقد يمزج الشاعر في تجربته بينه وبين مظاهر الطبيعة فيرى في ألمها ألمه وفي شقائها شقاءه، يقول[40]:

وقفت على البحر الخضم عشية وللريـــح فيـه والعــباب بــوادر
وقد بسط الليل البهيم جلالـــــه وللسحب نوء هاطل اللج هـامر
وللرعد ضحك رائع الصوت هائل كأن ضجيج الرعد بالناس ساخر
أقطع قلبي بالبكــاء وبالأســـى وحب الردى داء دخــل مخــامر

ويمكن القول إن شعر شكري قد حفل بمشاهد الطبيعة، حيث نلتقي بقصائده : (خطرات في المساء، حنين الغريب عند غروب الشمس، الحب والليل، طول الليل، صوت الليل، وصف البحر) ومشاهد الطبيعة هذه تعد من ملامح النزعة الوجدانية عند شكري، كما هو الحال لدى شعراء الحركة الوجدانية العربية، حين وجدوا في تلك المشاهد ملاذا من غربتهم بين الناس، وذريعة للتنفيس عما يجيش في صدورهم من عواطف[41].

ومن يتابع شعر الغزل عند شكري يجد أن ذكر الحبيبة عنده قد ارتبط، أيضا، بذكر الموت، وقد تكرر ذكر الموت كثيرا في غزله، كما ارتبط موضوع الموت في شعره بضوء القمر ويوم الحساب ويوم التوبة والرحمة والخوف، وفي هذا الموضوع تبدو سعة خياله وبراعته في رسم صور غريبة للموتى، فالموت لديه يرتبط بخرير المياه، وحفيف الشجر، وأصداء الطبول، وعويل الثكلى، وأنين الريح ،وعواء الذئب، وصراخ البحر، وأنين الليل، وفيه حقق شكري مسألة تبادل الحواس التي نادى بها الرمزيون، والتي تقوم على التعبير عن المحسوس باللامحسوس وبالعكس[42].

وحين يذكر شكري الموت في شعره فإنه يرى في هذا الموت أكثر رحمة من محبوبه، فيقول في قصيدة (الحب والرحمة)[43] :

لما رأيتم حيـــاتي في اقترابكـــــم وأن بعدكم والموت ســـيان
بنتم فلا رحمة فيكم أوملهـــا ولا تحسون ما بثي وتحنـــاني
فادعوا لي الله أن أنساكم أبدا وأن أبيت على صبر وسلـــوان
حسبي الذي قد عناني من جفائكم وقسوة كمنت في صخر صوان

وبسبب الحب يعيش يائسا ومعذبا، فيرى في الموت خلاصا له من الشامتين والعاذلين [44]:

فيا بؤس نفسي منك يا بؤس عيشتي أما آن تغشى المنايا البواكر؟
أما آن أن ألقى حماما يريحني فتهدأ أضلاعي وتهدأ المحاجر؟
أما آن أن ألقى قضاء يميتني فيرتاح حسادي وتسلوا العواذر؟

وفي جانب آخر يذكر شكري الموت ليتمتع بالحياة والحب قبل فوات الأوان[45]:

قم بنا نعشق النجوم حبيبي أوشك الليل جنحه أن يزولا
قم بنا نخلس الزهور من الحـــ ـــبّ ونسقي الرحيق والسلسبيلا
وأرى البدر فوق وجهك يا بد ر نعيما جمّا وحسنا صقبيلا
قم بنا نعشق الحياة حبيبي لا تدعني متيما مخذولا

ويمكن القول إن الموت قد شكل موضوعا أثيرا لدى شكري وما يتصل به من معاني الفقد والتأمل والاغتراب عن الحبيب، فقد حضر الموت في كثير من قصائده، كقصائد : الجمال والموت، والنساء في الحياة والموت، وضوء القمر على القبور، وصوت الموتى ، والحب والموت، ... ، وقد ارتبط إحساسه بالموت في هذه القصائد بجانب الوجدانية الرومانسية كاستعذاب الألم ومجاهدة النفس عن رغباتها، ليتحقق للشاعر الإحساس بالحرمان والفشل والتفوق إلى حد قد يصل المرض أحيانا، حين يخاطب المحبوب بالقسوة في تذكيره بمصير الإنسان، كقوله :

ستصبح يوما في التراب مجندلا بفيك وفي العينين منك تراب
وتمسي رفاتا في التراب ذليلة يقيء الفتى من مسّها ويصاب

ب- المرأة الأم :

على الرغم من دور الأم الكبير في حياة الأسرة إلا أن حضورها في الشعر العربي كان أقل بكثير من حجم دورها الحقيقي، فالعرب كرهت أن تذكر الحرم في أشعارها ومنها الأم، كما أن الحديث عن الأم قلما يصلح لأن يكون مقدمة للقصيدة العربية كما هو الحال بالنسبة للمرأة الحبيبة[46]، وحال الشاعر شكري لم يكن بعيدا عن حال غيره من الشعراء، ومن يتناول شعره بالدراسة يجد أن المرأة كأم لم تحظ بحظ وافر من شعره فقد ورد ذكرها في قصائد معدودة، حيث ورد ذكرها في الجزء الثاني، ففي قصيدة (غلام مريض يكلم أمه) يخاطب الشاعر أمه خطابا أشبه ما يكون برثاء الذات، وكأنه يشعر بدنو أجله وانقطاع أمله، فيجد في أمه الأنيس الذي

يبث إليه شكواه وأنينه حيث العاطفة الحزينة والشعور الصادق، ويبدو أن موضوع الموت همّ لا يفارق بال الشاعر حتى في خطابه مع أمه[47]:

خبريني أمي أئن مت ماتت نزعاتي إليكم وحنيني ؟
والحنان الذي أضم به كـــــــلّ قريب معانق أو قرين
والسواد الذي ترين بعيني أمضئ سواد تلك المنون

وهو يشفق على أمه بعد موته ولا يرضى لها أن تتلوع بسبب هذا الفراق :

لست أرضى لحر وجهك أن يز رى به من شحوب وجه الحزين
لست أرضى لأضلع حملتني أن تعاني حمل الأسى المكنون
ولصدر قد كان يحنو على جســـمي في المهد لوعة من شجون

وفي قصيدة (أم إسبرطية قتلت ابنها) تظهر صورة الأم التي تقتل ابنها، حيث التربية الصارمة في المجتمع الإسبرطي*، فالأم قتلت ابنها عندما وجدته فارا من المعركة، ومع هذا تبقى عاطفة الأمومة حاضرة بالرغم من تلك التربية الصارمة، فالابن يبقى جزءا لا يتجزأ من أمه [48]:

فرّ يبغي من الحمام مجيرا فأعان الردى عليه المجير
بادرته بحتفه أمه وهـــــــو على عاره إليها حبيب

ويظل الموت معنى احتفى به الشاعر حين وجد أن الموت شبيه الأم، لكنه شبيه الأم البخيلة، التي لا تقبل على أولادها ولا تحضنهم، وهو يريد أن يكون قريبا من الموت لما في نفسه من ألم ومعاناة، فيقول[49]:

فيا موت يا أمــا أطالـــت تصامـا أما لك قلـــب يرأم الولـــد حانيـــا ؟
ألا أرضعيـــنـــي منك يـــــا أم درة لأذكر ما قد كنت في العيش ناسيا
فيا موت أقبل باسط الوجه طلقه فإن حميم الصحب ما كنت لاقيـــا

وفي هذه القصائد التي ظهرت فيها صورة الأم لم يكن شكري قادرا عن الابتعاد عن موضوع الموت، فهو لم يكن منقطعا عن الثقافة العربية والغربية، فقد قرأ أبا العلاء المعري ودرس لامارتين وشلي وبايرن وغيرهم، ورآهم في حالات يأسهم المطبق وهم يصفون القبور ويغنون للموت، فذهب مذهبهم ليعزف للموت أروع الألحان[50].

ج- المرأة الزوجة :

لم يحفل شعر شكري بقضايا المرأة الزوجة بصورة كبيرة، كما لم يحفل شعره .،أيضا، بقضايا المرأة الأم، ويمكن تبرير هذا الأمر بتأثر الشاعر شكري بالشعراء القدماء الذين تربى على شعرهم، حين أغفلوا ذكر الأم والأخت والزوجة في الوقت الذي اهتموا فيه بنماذج المرأة المعشوقة ومفاتن جسدها، وسبب آخر يمكن ذكره في عدم احتفال شكري بالمرأة الزوجة هو أنه لم يتزوج، فلربما لم يجد تلك الإنسانة التي يغوص في أعماقها البعيدة باحثا عن الراحة والأمن والطمأنينة الروحية والعقلية[51]، أضف إلى ذلك التشاؤم الذي سيطر على شكري في حياته ، فقد قال عنه شوقي ضيف : " لعل مصر لم تعرف في عصورها المختلفة شاعرا متشائما ضاق بكل ما حوله حتى بنفسه كما عرفت

في عبد الرحمن شكري ، وقد نشر سبعة دواوين بدأ بأولها، وانتهى بآخرها 1919، وكلها تصور لنا قصة سوداء من التشاؤم الحزين الممرض[52].

وقد ورد ذكر المرأة الزوجة في قصائد معدودة، وفي هذه القصائد ظهر الجانب المظلم لصورة المرأة الزوجة عند شكري، وقد يعكس هذا الجانب تشاؤم شكري ونظرته السوداوية إلى الحياة عموما، ففي قصيدة الزوجة المهجورة تعالج السحر، يرسم شكري صورة لزوجة تلجأ إلى السحر مستعينة بالشياطين حتى يطال المكروه زوجها الذي أصبح كارها لها، فيقول على لسان الزوجة[53]:

يا ولاة الشر هبوا هبـة وأعينوني بحلف ناصر
أنا والسحر وأنتم والأذى نبتليه بالمذل الفـــاقر

وفي قصيدة قبلة الزوجة الخائنة يرسم شكري صورة لامرأة خائنة لزوجها ، فيقول [54]:

قد قبلتني قبلة مرة كأنها من حمة العقرب

وقد كان جزاء هذه الزوجة الطلاق ولولا حكمة الزوج لكان السيف هو الجزاء :

لولا وميض الرأي يقتادني يعيذني من سفه المغضب
جللتها بالسيف أمحو به الـــ ـــذنب بذنب رائع معجب
بيني فقد بانت بما قد جنت غوادر ما كن من مطلبي

كما رسم شكري قصيدة الزوجة الغادرة على شكل قصة شعرية توافرت فيها أركان القصة وعناصرها، وقد رسم صورة سوداوية لهذه الزوجة حيث أقدمت على خيانة زوجها مع أخيه، في وقت كان ينعم فيه الزوج بهذا الزواج [55]:

وعقدنا عقد الزواج وثيقا ونعمنا بيومه المشكور
ثم جاءت بعد ذلك أيا م كرام كحلفنا المعقود

وبعد هذا الزواج قررت الزوجة الخلاص من زوجها بالاشتراك مع أخ الزوج بدس السم له في الشراب، وكان أن كشف خيانة هذه الزوجة خادم صغير أخبر الزوج بما سمع من خيانة الزوجة:

فإذا خادم صغير أتى يهـــ ـــتز من خوفه اهتزاز الوكور
ثم قال: **استمع حديثي وانظر سيدي ما ترى بخطب جديد**
قد تسمعت خلف باب من الأبـــ ـــواب يا هول ما جرى في الخدور!
ربة البيت في يديها سقاء الـــ ـــسمّ والضيف خلفها كالعقيد

وبعد أن اكتشف الزوج أمرها قام بإبدال كوب الشراب الذي فيه السمّ ووضعه لزوجته بدون علمها لتكون النهاية القاسية لتلك الزوجة:

ثم جاء اليوم الجديد فنامت زوجي الرود نومة المقبور

فعل السمّ فعله في حشاها ودهاها من الردى بقيـــود

وبعد ... فقد كانت المرأة (المعشوقة ـ الأم ـ الزوجة) أبرز نماذج النساء اللواتي ارتسمت صورهن في شعر عبد الرحمن شكري، وفي تناول شكري لنماذج المرأة يمكن القول إنه ظهر تباين واضح في تناوله لنموذجي المعشوقة والزوجة، فحين تناول صورة المرأة المعشوقة فإنه تغنى بجمال الروح وتحريم المتع الجسدية، فأعلى من شأن المحبوبة ومنحها طابع التكريم، في الوقت الذي تغير فيه تناوله للمرأة الزوجة فصورها بكل معاني الانحلال تعبث وتلهو هنا وهناك. وبالتالي فإن صورة المرأة في شعر شكري لا تختلف عنها في واقع الحياة فمعظم النماذج التي ظهرت في شعره كانت تدب على أرض الواقع، الأمر الذي يعني أن المرأة في شعر شكري كانت امرأة واقعية وليست رمزا .

ومجمل القول في نهاية هذا البحث فإنه يمكن القول إن البحث في صورة المرأة عند عبد الرحمن شكري قد أظهر مجموعة من النتائج من أهمها :

1- حضور المرأة المعشوقة بشكل واضح في شعر عبد الرحمن شكري، حيث احتلت مساحة واسعة من شعره تليها المرأة الأم، والمرأة الزوجة.

2- سار عبد الرحمن شكري على نهج الشعراء العذريين في تغنيه بالمعشوقة، حيث تغنى بجمال الروح وأهمل الجسد.

3- حضور الموت بشكل واضح في قصائد شكري الغزلية وما يتعلق به من معاني الفقد والاغتراب .

4- حضور الأم في شعر شكري كان أقل بكثير من حجم دورها الحقيقي، وتأثره في ذلك بالشعراء القدماء.

5- رسم شكري صورة سوداوية للمرأة الزوجة في شعره، فظهرت بكل معاني الانحلال امرأة لعوبا خائنة لزوجها.

6- كان التشاؤم سمة بارزة في شعر شكري وصل إلى حد التشاؤم الممرض، فغلب الحزن والأسى على شعره.

الهوامـش:

1- ابن عبد ربه الأندلسي(أحمد بن محمد)، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق : مفيد قميحة، ج1، 1983، ص341.

2- أبو زيد القرشي، (أحمد بن أبي الخطاب)، جمهرة أشعار العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، ص352.

3- أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، مصدر سابق، ص 356.

4- شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1986، ط 7، ص23.

5- أحمد الشايب ' الغزل في تاريخ الأدب العربي، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1994، ص17.

6- قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، دار القلم، بيروت، ص33.

7- ابن الرومي، (أبو الحسن علي بن العباس)، ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، ج6، د. م، 1976، ص 2475 .

8- أبو القاسم الشابي، ديوان أبي القاسم الشابي(أغاني الحياة) ، دار الأرقم، بيروت، 1995، ص57.

9- أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000، ص 250.
10 - حافظ إبراهيم ، ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ط3، ص 282.
11- أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ج17، دار الكتب، 1963، ص344 .
12- الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، ج2، دار الأرقم، بيروت، 1999، ص 404.
13- شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة ، 1993 ، ط9 ، ص118.
14- أحمد غراب ، عبد الرحمن شكري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، ص 3.
15- عبد الرحمن شكري، الاعترافات، ج1، تحرير : أحمد الهواري، المجلس الأعلى للثقافة ، ص54.
16- المصدر نفسه ، ص54.
17- عبد الرحمن شكري ، حياته وآثاره ، مقدمة الديوان، ج1، نقولا يوسف، ص3.
18- شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1993، ط9، ص 111.
19- حمدي السكوت، عبد الرحمن شكري، أعلام الأدب المعاصر في مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص 129.
20- محمد مندور، الشعر المصري بعد شوقي، نهضة مصر، القاهرة، ص52 .
21- عباس العقاد, شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الجديد الماضي، نهضة مصر، القاهرة ، ص189.
22- سالم الحمداني وفائق مصطفى، الأدب العربي الحديث، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، 1987، ص148.
23- حمدي السكوت، أعلام الأدب المعاصر في مصر، ص 121-145.
24- ديوان شكري ص 10 .
25- أحمد غراب، عبد الرحمن شكري، ص188، رسالة شكري بتاريخ 1995/8/21.
26- أحمد غراب، عبد الرحمن شكري، مرجع سابق، ص187.
27- عبد الرحمن شكري، الاعترافات، ص30.
28- عبد الرحمن شكري، ديوانه، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 2000 تحقيق : نقولا يوسف ، ج1 ، ص ز .
29- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 57.
30- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 281.
31- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 367.
32- المصدر نفسه، ص 86 .
33- المصدر نفسه، ص 303.
34- المصدر نفسه، ص 303.
35- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 76.
36- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 245.
37- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 76.
38- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 76.
39- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، مصر، 1992، ط10، ص 131- 132.
40- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 247.
41- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، المنير، 1992، ص143.
42- سالم الحمداني ومحمد الربيع، دراسات في الأدب الحديث، المركز العربي للخدمات الطلابية، جرش، 2002، ص 76 .
43- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 366.
44- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 271.
45- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 271.

46- أمل نصير، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص 250 .

47- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص153 .

* أسبرطة مدينة يونانية كانت تعرف بأنها دولة مدينة في اليونان القديمة، تأسست حوالي 900 ق.م وقد كان المجتمع الأسبرطي مجتمعا ذكوريا يهمّش المرأة، كما كان أهل إسبرطة يرمون الأطفال الضعاف على جانب جبل ويتركونهم يموتون .

48- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 207.

49- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 586.

50- يسري سلامة، جماعة الديوان، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1977، ص115.

51- يسري سلامة، جماعة الديوان، ص 73 .

52- شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ط8، ص 109 .

53- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص 188.

54- عبد الرحمن شكري، ديوانه، 190.

55- عبد الرحمن شكري، ديوانه، ص211.